عالم ما بعد القنبلة

للأستاذ نقولا الحداد

بعد ساعة أو بضع ساعات من سقوط القنبلة الذرية على هيروشيما كان الجنس البشري كله مدهوشاً من هذا الحادث الهائل المفاجئ — أجل مفاجئ — من ألوف الطائرات ترمي ألوف الأطنان من المتفجرات فتدك أحياء المدن دكاً إلى طيارة واحدة ترمي قنبلة واحدة تزن رطلا واحداً ، فتدك مدينة واحدة عظيمة في لحظة واحدة دكًّا فظيعاً — خبر لا يكاد يُصدَّق . ولكن العالم كله صدقه ، لأن هوله لمع في جميع البلدان وأقام البرهان وحتَّم الإيمان وضعضع البهتان . والمرء يجزع من خوارق الحدثان التي تمثل في مخيلته قصص الجان .

يقيناً انتقل العالم من عناء مناوشة المتفجرات إلى تحت سلطان الذرة الحاسم ؛ بكلمة واحدة من لسان الأورانيوم خرَّت اليابان على ركبتيها ضارعة مستغيثة تلتمس الرحمة والرفق .

لو تَوفق مخترعو قنبلة الذرة منذ شرعوا في محاولة صنعها لخرت ألمانيا ساجدة منذ سنة ١٩٤٠ وحُقنت دماء كثيرة

أصبح البشر الآن خائفين على مدنيتهم أن تبيد بتاتاً ، وعلى جنسهم أن ينقرض كما انقرض قبله الديناسور وحيوانات أخرى

صار الناس يحسبون حساب المستقبل الجديد — نعم سيكون المستقبل كله جديداً . وسيصبح حاضرنا كأنه ماضي ما قبل التاريخ كما كان العصر الحجري بالنسبة إلى عصرنا ما قبل التاريخ

عصر مجد الكيمياء انقضى وجاء عصر سؤدَد الذرة الكهربي . وأصبح اكتشاف الكهربائية درجة للصعود إلى عالم الذرة ، كما صار عصر البخار كالحمار لدى عصر الطيار .

القنبلة الذرية لم تفتح فصلا جديداً في كتاب العلم بل فتحت دائرة معارف جديدة ، وفتحت فصلا جديداً في الثقافة ، سيضاف إلى مناهج الدراسة في الجامعة منهاج جديد للتخصص في « علم الذرة » .

في عام أو بضعة أعوام سيرى طلبة الطبيعة والكيمياء لديهم كتاباً مطولا في علوم الذرة — بناؤها وتركيبها وتحليلها ووظائف

---

٤ — وفي طبقات الشعراء (ص٢٣) ، والأغاني (ج ٢ ص٥٠ — ٥١ ، وج ٥ ص ١٧٢) ، والمزهر نقلا عن ابن سلام (ج١ ص٨٧) ، أن يونس بن حبيب قال : قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة ، فقال : ما أطرفتني شيئاً ؟ فعاد إليه ، فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى ، فقال : ويحك ! يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروى للحطيئة ؟ ولكن دعها تذهب في الناس .

٥ — وفي المزهر (ج ١ ص ٨٧) أن عمرو بن سعيد الثقفي قال : كان حماد الراوية لي صديقاً ماطفا ، فقلت له يوما : أملِ علي قصيدة لأخوالي بني سعد بن مالك ، فأملى علي لطرفة . . . وهي لأعشى همدان[1] .

٦ — وفي المزهر أيضا (ج ٢ ص ٢٠٥ — ٢٠٦) أن سعيد

(١) تفسير ما كان من صداقة بين حماد وعمرو بن سعيد أن حماداً بكري الولاء ، وأن أخوال عمرو بن سعيد هم بنو سعد بن مالك (بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر) . فكلا الرجلين بكري الهوى . وبنو سعد بن مالك هم رهط طرفة الشاعر (انظر نسب عدنان وقحطان للبيرد ، وهو من تحقيق الأستاذ المدقق عبد العزيز الميمني ، ص ١٦) .

ابن هُرَيْم البرجمي قال : حدثني من أثق به أنه كان عند حماد حتى جاء أعرابي ، فأنشده قصيدة لم تُعرف ولم يُدْرَ لمن هي ، فقال حماد : أكتبوها ، فلما كتبوها وقام الأعرابي قال : لمن ترون أن نحملها ؟ فقالوا أقوالا ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة .

* * *

فهذه أقوال ستة وأخبار ستة توردها كتب القدماء في صدد انتحال حماد ، وهي كل ما وجدناه فيها . ونحن نضيف إليها هنا ما يقوله صاحب العقد الفريد (ج ٤ ص ٤٠٢ — ٤٠٣ ط المطبعة الأزهرية) : « ... وكذلك كان يفعل حماد الراوية ، يحقق الشعر القديم ويقول : مامن شاعر إلا قد حقَّقت في شعره أبياتا فجازت عنه إلا الأعشى ، أعشى بكر ، فإني لم أزد في شعره قطعة بيت ... قيل له : وما البيت الذي أدخلته في شعر الأعشى ؟ فقال :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت
مني الحوادث إلا الشيب والصلعا »

(البحث بقية أخرة)

السيد يعقوب بكر

أعضائها وقواها ومفاعيلها إلى غير ذلك . ولا بد من دراستها ، لأنها ستصبح السبيل الوحيد لفهم الإلفة الكيمية والتيار الكهربائي ولتبسيط الكيمياء والكهرباء . وسيلقب الناجح في علم الذرة بكلوريوس الذرة ، أو أستاذ الذرة ، أو دكتور الذرة ، وأخيراً فيلسوف الذرة .

مسكين طالب العلم في العصر الجديد ، سيمتد عمر دراسته عاماً أو عامين أو أكثر ... لا تجزعنّ يا بنيّ ، لأن الحقائق التي وضحت سهلت الدراسة .

لا يصح أن نسمي هذا العصر الجديد عصر الأورانيوم ، لأن تحطيم الذرة لاستخراج الطاقة منها لن يقتصر على الأورانيوم وحده ، بل سيتناول العناصر الأخرى الواحد بعد الآخر . اليوم تحطم الأورانيوم وبعده الرصاص ، ثم الحديد ، ثم الكربون ، وربما تحطم الهيدروجين أخيراً .

ستتحطم ذرات القلم التي في يدي ، وذرات الورق الذي بين يديك ، وذرات الكرسي الذي تقعد عليه . ستكون كل ذرة في الكون قابلة التحطيم ، كما أن ذرات عناصر الشمس متحطمة تباعاً ومنتثرة حطامها في الفضاء فوتونات أي ضوئيات . ولولا حطام ذرات الشمس المتناثرة في الفضاء لما رأينا نوراً ولا دفئنا بحرارة . لسوف تذوب الشمس حطام ذراتٍ في الفضاء ، كما يذوب الشمع أمام النار . وكذلك سيكون مصير جميع الأجرام تتناثر كلها فوتونات في الفضاء اللامتناهي . هي من الأثير وإلى الأثير تعود . وربما تجدد تكون الكون بعدئذ في دورة أخرى ، والله أعلم .

سيصبح تحويل معدن إلى معدن أسهل من تحويل اللبن إلى كوتشوك ، والقطران إلى روائح وألوان . ثم تكون القوة أطوع ليد الإنسان من الكلب الأمين أو الحصان الودود . قد يمكن الإنسان أن يطير حول الكرة الأرضية تحت شمس الظهر ، ويبقى تحت شمس الظهر حتى يجد نفسه قد عاد إلى مطاره ولا يخزن معه من القوت إلا قدر الحمصة في علبة سيجارة . وكذلك يستطيع بزورقه أن يمخر البحار الخمسة بقوة هذه الحمصة ، ويطوف جميع بقاع الأرض في سيارته بقوة هذه الحمصة

وسيرى حمصات الأورانيوم أو الراديوم أو غيرها تدير معامل الصناعات على اختلاف أنواعها نعم سيرى الإنسان نفسه سيد الطبيعة بالفعل — يهيج البحار ويسكنها ، ويجري الأنهار ويحبسها ، ويستنزل الأمطار ويكفنها — يتصرف بالطبيعة كأنه

ولكن وا أسفاه سيبقى هناك شيء لا يستطيعه الإنسان . يسيطر على الأورانيوم ويتسلط على المعادن ويعتقل القوة العظمى ولكن هناك شيئاً لا يستطيعه ، لا يستطيع أن يملك عنان الطبع البشري ! يستطيع أن يقهر قوات الطبيعة ، ولكنه لا يستطيع أن يقهر شهوته . يستطيع أن يكبح جماح الحر والبرد والريح والبحر والعاصفة ، ولكنه لا يستطيع أن يكبح جماح رذيلته وشروره .

يكون سيد المادة ، ولكن شهوته تبقى سيدته !

يتسمح على عوامل الطبيعة ، ولكن نزعاته تتسمخ عليه !

يركب متن الطاقة الذرية ، ولكن شيطان أهوائه يحتطيه !

يحطم الذرة ، وأخيراً الذرة تحطمه !

أصبح الإنسان الحيواني عند مفرق طريقين : إما أن يعقل ويعتقل القوة الذرية فيستخدمها لخيته ، أو أنه ينتحر بها .

المدنية الآن في نشوة من خمرة انتصارها على الطبيعة . فإن استطاعت أن تصحو من هذه النشوة قبل أن تهوي إلى هاوية الفناء ، وأن تجعل النظم الاجتماعية والسياسية علماً بقواعد وأصول لتسير عليها ، كما جعلت السنن الطبيعية علوماً لها ، نشطت مدنية جديدة في فردوس من السعادة لا يفرغ منها

فؤاد الخراز

صدر بالقاهرة تستحق من

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

ثمنه ١٥ قرشاً

يطلب من الرسالة ومن المكاتب الشهيرة